

في تذكار البار بورفيريروس الكافسوكاليفي

المتروبوليت أناسيوس مطران ليماسول
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"ستهب عاصفة قريباً"

حين كنت في الجبل المقدس، سمعت من رفاقي الطلاب ومن أناسٍ مختلفين ورهبان آتوسيين حول العجائب الكثيرة للقديس بورفيريروس، والذي كان حينها يقيم في دير بندالي في أثينا. أخبروني عن مختلف الأمور الرائعة والفائقة الطبيعة التي أجراها الشيخ بصلواته. استولى علي فضول "حسن" وأردت التعرف إليه. ولكنني في ذلك الوقت كنت أعيش في جبل آتوس ولم يكن الأمر سهلاً، إذ لم نعتد مغادرة الجبل، لذلك لم يكن بإمكانني السفر أو الذهاب إلى أثينا بشكلٍ مفاجئ.

في مرحلة ما، حوالي ١٩٨٤-١٩٨٥، إن لم أكن مخطئاً، كنا أنا والإخوة في الإسقيط الجديد. وسمعنا بأن الشيخ كان في كافسوكاليفيا الواقعة بالقرب من الإسقيط الجديد، وكان يأتي إلى هناك كثيراً. كان يمكن الوصول إليه بواسطة القارب، أو سيراً على الأقدام، ولو أنه كان بعيداً إلى حد ما. طلب مني بعض الإخوة مرافقتهم بالقارب إلى إسقيط كافسوكاليفيا للقاء الشيخ. وكانت لدي أنا أيضاً رغبة عارمة بلقاؤه وطلب بركته. بعد أخذنا بركة شيخنا، غادرنا إلى كافسوكاليفيا مع الأب خريسوستوموس الدائم الذكر، "قبطان قارب النجاة" كما كان الشيخ يوسف يدعوه، ومع الدائم الذكر الأب جرفاسيوس، ومع أخٍ آخر ما زال على قيد الحياة. كان الطقس جيداً وكانت الظروف مؤاتيةً للملاحة. بناءً على معرفتنا، لم تكن هناك مؤشرات بأن الطقس سيتغير، وكان من المرجح أن يبقى البحر هادئاً طيلة اليوم.

صعدنا إلى كاليفا (كوخ) القديس جورجوس حيث كان الشيخ مقيماً. كان يتناول الفطور في الباحة. صعدنا وأخذنا بركته. وهناك في الباحة، تحدث معنا الشيخ حول مختلف المواضيع التي سأله عنها الآباء. اكتفيت بالاستماع، طارحاً سؤالاً أو اثنين فقط. تكلم الشيخ حول الأمور التي سُئل عنها بمحبة بالغة. ثم قال بلطفٍ شديد: "سامحوني أيها الآباء، لا يمكنني التحدث معكم أكثر، فأنا مريض وبحاجة لأن أذهب وأنال قسطاً من الراحة. اذهبوا الآن. رحلةٌ موفقة". أخذنا بركته وذهبنا. مشينا حوالي خمسين إلى خمسين يارداً بعيداً عن الكاليفا والتقينا هناك بالأب خاريتون. كان قبرصياً وقد عاش في ذلك الوقت مع الشيخ بورفيريروس في كافسوكاليفيا. همس قائلاً: "لا تذهبوا! اجلسوا هنا وانتظروا. دعوا الشيخ يرتاح لساعة. يحدث هذا كل صباح: بعد الصلوات الصباحية والخدمة، يشعر بالإرهاك، ولكنه سيستقبلكم لاحقاً". كنا نقف بعيداً عن الكاليفا، ولم يكن من الممكن للشيخ سماع ما قاله الأخ لنا بصوتٍ خافتٍ على بُعد خمسين يارداً منه. ولكن ما إن توقف الأب خاريتون (عن

الكلام) حتى رن الجرس. أسرع الأب خاريتون نحو القلاية: "إنه الشيخ يرن الجرس ليدعوني. ابقوا هنا. الشيخ يحتاج شيئاً ما". ثم عاد إلينا وقال: "أيها الآباء، لقد عرف الشيخ ما كنت أقوله لكم. قال لي: لماذا اقترحت على الآباء أن ينتظروا وألا يغادروا؟ لقد طلبت منهم المغادرة لأن عاصفةً بحريةً ستهب قريباً وسيصعب عليهم الإبحار رجوعاً إلى إسقيطهم" وأضاف: "لذلك همّوا بالإبحار. بما أن البيروندا قال هذا، فهو لن يستقبلكم".

حسناً، اقتنعنا بأن الشيخ لا يريدنا الانتظار عند الكاليفا، وغادرنا. ذهبنا لزيارة الإخوة المقيمين في أكواخ كافسوكاليفيا. كان يوماً هادئاً ولم تكن هناك مؤشرات بأن الطقس سينقلب. كنا "نضيع الوقت"، مكرمين الذخائر في أساقيط كافسوكاليفيا. في مرحلة ما، لاحظنا بأن الطقس بدأ يسوء. ركضنا باتجاه القارب وانطلقنا. وبالفعل تبين بأن رحلة العودة كانت صعبةً للغاية لأن الطقس تبدل بشكلٍ مفاجئ وأصبح سيئاً. وكاد قاربنا ينقلب.

هكذا كان لقائي الأول مع الشيخ بورفيروريوس في كافسوكاليفيا. التقيت به لاحقاً في أثينا، في الدير حيث كان الشيخ يقيم. ذهبت إلى هناك عشرات المرات، التقيت به وحصلت على بركته وتناقشنا حول أسئلةٍ مختلفة كانت تهمنا.

"افرحي يا عروساً لا عروس لها"

في أحد الأيام، اتصلت به حين مرض شيخنا يوسف. كان يعاني من مشاكل خطيرة في القلب. كنا ما نزال نقيم في الإسقيط الجديد وليس في دير فاتوبيذي. ظل (الشيخ يوسف) يقول لنا: "سأمت على أي حال" وكان يتحضر للمغادرة إلى الحياة الأبدية. كنا شباناً وقلقين بسبب هذه النبوءة من الشيخ. وفكرت بأنه من الجيد الاتصال بالشيخ بورفيروريوس وطلب صلواته من أجل شيخنا لئلا يصيبه سوء، ولكي يبقى بصحة جيدة ويحمينا ويرشدنا.

في تلك المناسبة، كنت في تسالونيكى بناءً على طلب البيروندا يوسف. اتصلت بالشيخ بورفيروريوس في الساعة الخامسة صباحاً (قيل لي أنه من الأفضل الاتصال بالشيخ مبكراً في الخامسة صباحاً). اتصلت برقم الهاتف الذي أعطوني إياه مراراً وتكراراً ولكنَّ الشيخ لم يُجب. أصبحت كئيباً في مرحلة ما وقلت لنفسى: "لا شيء ينفع. الشيخ لا يجيب. لم لا أصلي مديح والدة الإله لكي تيرني وترسل لي جواباً؟" بدأت بقراءة المديح، ولكني، بصراحة، كنت أقرأ بعجلة وبشيء من العصبية لأن تفكيري كان في هاتفي وليس في تص المديح. وصلت إلى البيت الأخير: أيتها الأم الكلية... وأنا أنطق بكلمات الصلاة وأتصل برقم الشيخ بإصبعي في الوقت نفسه. ما إن بلغت الكلمات الأخيرة: افرحي يا عروساً لا عروس لها، حتى أجاب الشيخ على الهاتف وقال مُرتلاً من الطرف الآخر من الخط: "افرحي يا عروساً لا عروس

لها". لقد أفهمني أنه كان يُصلي معي. بعدها بدأ (الشيخ بورفيرْيوس) بالتكلم حول الموضوع الذي أردت سؤاله بشأنه، ألا وهو شيخنا (يوسف). قال: "لا تقلق. لن يموت شيخكم الآن. سيعيش طويلاً". وهذا ما حصل بالضبط، فقد رقد الشيخ (يوسف) بعد سنواتٍ عدة.

"فلتكن صلوات وبركة والدة الإله معك"

بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٢ كان علي الانتقال إلى قبرص. في ذلك الوقت، وبإيعازٍ من دير فاتوبيذي، شَرَفَت بالخدمة كمدير أول للجبل المقدس. قرر اليروندا يوسف إرسالني إلى قبرص استجابة لنداء رئيس الأساقفة خريسوستوموس الأول المبارك الذكر. قاومتُ ولم أشأ مغادرة الجبل المقدس والعودة إلى قبرص لأجل أي شيء في العالم. كانت معارضتي شديدةً، ولكن اليروندا يوسف أصر على موقفه أيضاً. ظل يقول: "هذه بركتي ويجب عليك أن تُتمّها". وكنت أبحث عن أحد الشيوخ الآتوسيين الأتقياء ممن سيقولون لي: "لا حاجة لك بالذهاب إلى قبرص. ابقُ في الجبل المقدس". لأن الآتوسيين التزموا بالمبدأ القائل: لن نغادر الجبل المقدس أبداً ولن يُجبرنا شيء على ذلك. وكنت أقول لنفسني: الآن سأجد أحد الشيوخ وسيقول لي ألا أذهب، ولن أذهب.

ذات ليلة، في اليوم السابق لرقاد الشيخ بورفيرْيوس في الرب، كنت في مكتب دير فاتوبيذي في كارياس حين تلقيت مكالمة هاتفيةً داخليةً من إسقيط كافسوكاليفيا، من الكاليفا حيث كان الشيخ بورفيرْيوس. كان الأخ يتكلم فطلبت منه قائلاً: "عذراً أيها الأب، هل يمكنني التحدث مع الشيخ بورفيرْيوس؟" أجاب الأخ: "الشيخ مريض جداً وغير قادرٍ على التحدث على الهاتف". كان الوقت قد تأخر على الجدل. ولكنني في تلك اللحظة سمعت صوت الشيخ متسائلاً: "من هذا؟" فسألني الأخ مجدداً: "عذراً ولكن من المتكلم؟" أجبت: "المدبر الأول للجبل المقدس، الأب أثناسيوس". قال الأخ للشيخ: "يروندا، إنه المدبر الأول" قال الشيخ: "أعطني الهاتف". أخذ الشيخ بورفيرْيوس الهاتف وقال: "بارك أيها المدبر الأول! إني أموت ولا أستطيع التكلم". سألته سؤالاً واحداً: "يروندا، أطلب صلواتك. شِخِي يَطلب مني أن أذهب إلى قبرص ولكنني لا أريد ذلك. ماذا علي أن أفعل؟". أجاب: "ماذا أقول لك يا ابني العزيز؟ طالما أن شيخك يرسلك إلى قبرص، عليك إظهار الطاعة والذهاب. أصلي أن ترافقك والدة الإله في كل طرقك! فلتكن صلاة وبركة والدة الإله معك. لا أستطيع قول المزيد. إني أموت" طلبت منه أيضاً: "باركني أيها الشيخ، صل من أجلي"، فأجاب: "الرب ووالدة الإله معك" وأقفل خط الهاتف. توفي الشيخ في اليوم التالي. لربما كنت من أواخر الناس الذين تحدثوا مع الشيخ على الهاتف. لذلك فإن صلوات وبركة الشيخ بورفيرْيوس معنا في قبرص، وهو أمرٌ لا يجعلنا من تلقاء ذاته مُستحقين، لأنه لكي نكون مستحقين للقديسين علينا لا أن نعرفهم فقط، بس أن نقتدي بهم أيضاً.

ولكننا رغم معرفتنا بهم لا نُمائلهم. لذلك أسأل الرب أن يساعدنا لكي نصبح مثل القديسين لأن الأمر هامٌ جداً. إننا نحاول في الوقت الحالي بناء كنيسة جميلة في ليماسول في ساحة أومونيا إكراماً للقديس بورفيرIOS، على أرض تبرعت بها امرأة تقيّة. أرجو أن يباركنا القديس بورفيرIOS لإعمار هذه الكنيسة.

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol. "I Was One of the Last People to Speak with the Elder on the Phone": In memory of Venerable Porphyrios of KavsoKalyvia. OrthodoxChristianity. Translated from the Russian version by Dmitry Lapa. 12/9/2020. <https://orthochristian.com/135908.html>